بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا هُوَ الْمَجْلِسُ الرَابِعُ مِنْ مَجَالِسِ "الثِّمَارِ الجَنِيَّةِ مِنْ شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ"، الْمُنْعَقِدُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، الثامن مِنْ شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ، سَنَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَستٍّ وَأَرْبَعِينَ (1446 هـ) مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الْمُوَافِقِ السادس مِنْ شَهْرِ ماي، سَنَةَ أَلْفَيْنِ وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ (2025 م) مِنْ تَارِيخِ النَّصَارَى.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ أَنَّ هَذَا الاِعْتِقَادَ الصَّحِيحَ الْمُنْجِيَ مِنَ الشُّرُورِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَالَّذِي يُحَقِّقُ النَّصْرَ وَالتَّمْكِينَ وَالتَّأْيِيدَ، أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمِنْ كَلَامِ سَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِينَ. وَهُوَ يَعْنِي: الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَهَذَا الاِعْتِقَادُ صَحِيحٌ، مَبْنِيٌّ عَلَى قَاعِدَةٍ كَبِيرَةٍ كُلِّيَّةٍ عَظِيمَةٍ يَقُومُ عَلَى أَسَاسِهَا، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا.

أَيْ: أَنَّ أَصْلَ هَذَا الاِعْتِقَادِ الْمَطْلُوبِ تَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَتَبْيِينُهُ لِلنَّاسِ وَدَعْوَتُهُمْ إِلَيْهِ، يَقُومُ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ مَعَ أَرْكَانِهِ السِّتِّ الْمَعْلُومَةِ، الَّذِي لَا يَصِحُّ وَلَا يُقْبَلُ إِلَّا بِهَا.

كَمَا جَاءَ ذَلِكَ مُقَرَّرًا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي صَحِيحِهِ مِنْ طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَهُوَ الْحَدِيثُ الثَّانِي مِنْ أَحَادِيثِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ (الْحَدِيث رَقْم -8- فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَالسَّاعَةِ).

وَفِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى الْإِيمَانِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُجِيبًا :(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

وَقَدِ اسْتَعْمَلَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بَدَلًا مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَوْلَهُ: «الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ» بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ: «وَالْيَوْمِ الْآخِرِ». وَهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ؛ لِأَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ. وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ انْفَرَدَ بِهِ عَنِ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ.

❁ **فَمَا مَعْنَى الْإِيمَانِ بِاللهِ؟** وَقَدْ مَرَّ بِنَا شَرْحُ ذَلِكَ فِي الدُّرُوسِ الْقَدِيمَةِ.

❁ **الْإِيمَانُ لُغَةً** هُوَ التَّصْدِيقُ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْكَثِيرِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. قَالُوا: هَذَا التَّفْسِيرُ لِمَعْنَى الْإِيمَانِ لَا يَفِي بِالْغَرَضِ الْمَطْلُوبِ، بَلِ الْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ الْمَصْحُوبُ بِالْإِقْرَارِ وَالِاعْتِرَافِ النَّابِعِ مِنْ مَعْنَى الْإِذْعَانِ وَالْخُضُوعِ وَالتَّسْلِيمِ. وَيَعْنِي ذَلِكَ: **إِقْرَارٌ وَاعْتِرَافٌ يُؤَدِّي إِلَى لُزُومِ قَبُولِ الْأَخْبَارِ وَالتَّسْلِيمِ لِلْأَحْكَامِ.**

وَقُلْنَا قَدِيمًا: الْإِيمَانُ عَلَى خَمْسَةِ أَنْوَاعٍ: **مَطْبُوعٍ، وَمَعْصُومٍ، وَمَقْبُولٍ، وَمَوْقُوفٍ، وَمَرْدُودٍ.**

❁ وَمَعْنَى مَطْبُوعٍ: أَيْ وَهُوَ إِيمَانُ الْمَلَائِكَةِ فَهُمْ مَطْبُوعُونَ عَلَى الطَّاعَةِ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

❁ وَمَعْصُومٍ: وَهُوَ إِيمَانُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، عَصَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْمَعَاصِي لِأَجْلِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

❁ وَمَقْبُولٍ: وَهُوَ إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ، يَزِيدَ وَينْقَصْ يَقْوَى وَيُضْعِفُ

❁ وَمَوْقُوفٍ: (وَالْمَشْهُورَ أَنَّهُ إِيمَانُ الْمُقَلِّدِ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ الْأَدِلَّةَ).

❁ وَمَرْدُودٍ: وَهُوَ إِيمَانُ الْمُنَافِقِينَ.

وَقَالَ جُلُّ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ هِيَ :

❁ أَوَّلًا: الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِ تَعَالَىٰ.

❁ ثَانِيًا: الْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ الْمُتَضَمِّنِ لِتَوْحِيدِهِ بِأَفْعَالِهِ.

❁ ثَالِثًا: الْإِيمَانُ بِأُلُوهِيَّتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِتَوْحِيدِهِ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ.

❁ رَابِعًا: الْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ، وَأَنَّهُ كَذَلِكَ مُنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَيُلَاحَظُ هُنَا أَنَّ لَفْظَ الْإِيمَانِ هُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي نُقِلَتْ مِنْ مَعْنَاهَا اللُّغَوِيِّ إِلَى الْمَعْنَى الشَّرْعِيِّ، وَصَارَتْ تُعْرَفُ بِهِ، كَلَفْظِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَنَحْوِهَا.

❁ **فَجَاءَ** التَّعْرِيفُ فِي الِاصْطِلَاحِ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، أَوْ اعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ. يَزِيدُ بِطَاعَةِ الرَّحْمَٰنِ، وَيَنْقُصُ بِمَعْصِيَةِ الشَّيْطَانِ. وَهُوَ يَتَفَاوَتُ وَيَتَفَاضَلُ، أَوْ أَهْلُهُ فِيهِ مُتَفَاضِلُونَ، وَهُمْ دَرَجَاتٌ.

وَقَالَ صَاحِبُ الْعَقِيدَةِ السَّفَّارِينِيَّةِ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْعَوْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّفَّارِينِيُّ النَّابُلْسِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الْحَنْبَلِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٨٨ مِنَ الْهِجْرَةِ :

اَلْإِيمَانُ قَوْلٌ وَقَصْدٌ وَعَمَلٌ ... يَزِيدُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالزَّلَلِ

وَقَالَ صَاحِبُ السَّبِيكَةِ الذَّهَبِيَّةِ[1]، عَفَا اللهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَعَنْ طَلَبَتِهِ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ:

إِيمَانُنَا عَقْدٌ وَثِيقٌ مُتَّصِلٌ ... يُبَانُ بِاللِّسَانِ وَيُصَدَّقُ بِالْعَمَلِ

يَزْدَادُ قُوَّةً بِطَاعَةِ الدَّيَّانِ ... وَيَضْعُفُ بِاتِّبَاعِ حَظِّ الشَّيْطَانِ

وَيَكْمُلُ عِنْدَ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ ... وَأَهْلُهُ بِدَارِ السَّعَادَةِ

❁ قَوْلُهُ: **الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ** .الْوَاوُ عَاطِفَةٌ، وَالْمَلَائِكَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ اللهِ. وَالْمَعْنَى: يَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ كَمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالْمَلَائِكَةُ هُمْ عَالَمٌ مِنَ الْعَوَالِمِ، وَهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا. وَهُمْ غَيْبٌ، خَلَقَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا من النُّورِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، عِنْدَ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (صَحِيح مُسْلِم، رَقْمُ 2996، كِتَابُ اَلزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ) :أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ).

وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ:

[1] هو الشيخ أبو قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي التبسي حفظه الله من كل سوء وأطال عمره في طاعته

❁ وَهُمْ **عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، مَطْبُوعُونَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ**، مُسَخَّرُونَ مَرْبُوبُونَ مُدَبَّرُونَ. لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ. وَقَدْ غَلِطَ كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ حِينَ عَبَدَهُمْ مَعَ اللهِ، أَوِ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللهِ تَعَالَى. تَعَالَى رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

❁ وَهُمْ **خَلْقٌ عَظِيمٌ، وَلَهُمْ أَجْنِحَةٌ** كَمَا فِي حَدِيثِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَمَا فِي حَدِيثِ حُضُورِهِمْ لِمَجَالِسِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ.

❁ وَهُمْ **كَثْرٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ جَلَّ** وَعَلَا الَّذِي خَلَقَهُمْ.

❁ فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِهِمْ جَمِيعًا عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ، وَنُؤْمِنُ بِمَنْ سُمِّيَ لَنَا مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ: كَجِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَخَازِنِ النَّارِ (مالك)، وَرِضْوَانَ، وَغَيْرِهِمْ.

❁ وَلَهُمْ **وَظَائِفُ مَنُوطَةٌ بِهِمْ**:

- مِنْهُمْ سُفَرَاءُ الْوَحْيِ كَجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- وَالْمُكَلَّفُ بِالْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ وَهُوَ مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- وَالْمُكَلَّفُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ لِإِعَادَةِ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَجْسَامِ بَعْدَ الْبَعْثِ وَهُوَ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- وَالْمُكَلَّفُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَهُوَ مَلَكُ الْمَوْتِ.
- وَالْمُكَلَّفُ بِكِتَابَةِ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ.
- وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ سَيَّاحُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْحَثُونَ عَنْ مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَحِلَقِ الْعِلْمِ.
- وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى بَنِي آدَمَ، يَرْفَعُونَ أَعْمَالَهُمْ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

أبو قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي

- وَمِنْهُمُ الْمُكَلَّفُونَ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ بِالْعُصَاةِ مِنَ الْأَقْوَامِ عِنْدَ عُقُوبَةِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا لَهُمْ، وَهَذَا يَكُونُ عِنْدَ جَبَرُوتِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ.
- وَمِنْهُمْ مُكَلَّفُونَ بِتَعْذِيبِ أَهْلِ الْعَذَابِ فِي قُبُورِهِمْ.
- وَالْمُوَكَّلُونَ بِخِدْمَةِ أَهْلِ النَّعِيمِ فِي جَنَّاتِهِمْ.

قُلْتُ: ثُمَّ ذَكَرَ مُلَخَّصَ لِقِصَّةِ مَجِيءِ الْمَلَائِكَةِ إِلَىٰ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَدِّ فِعْلِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرَيْ الطَّبَرِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُمَا اللهُ:

تَتَنَاوَلُ هَذِهِ الْقِصَّةُ جُزْءًا مِنْ سِيرَةِ نَبِيِّ اللَّهِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ الْمُكَذِّبِينَ، وَتَكْشِفُ لَنَا مَوْقِفًا عَصِيبًا مَرَّ بِهِ عِنْدَمَا جَاءَهُ ضُيُوفٌ لَا يَعْرِفُهُمْ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ لِإِهْلَاكِ قَوْمِهِ. وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْمَوْقِفَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، مِنْ أَبْرَزِهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ هود: ٧٧ وَيُفَسِّرُ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ وَالْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُمَا اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَمَا وَرَدَ فِي مَعْنَاهَا فِي سُوَرٍ أُخْرَىٰ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ *قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣١ – ٣٣].

❁ مُلَخَّصُ الْقِصَّةِ وَشَرْحُ الْمَوْقِفِ كَمَا فِي التَّفْسِيرَيْنِ:

١. **مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ فِي صُورَةِ بَشَرٍ**: أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَىٰ مَلَائِكَتَهُ (وَهُمْ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ وَالْإِشَارَاتِ) فِي صُورَةِ رِجَالٍ شِبَابٍ حِسَانِ الْوُجُوهِ إِلَىٰ لُوطٍ

عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَدْ مَرُّوا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلًا وَبَشَّرُوهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ ذَاهِبُونَ لِإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ.

٢ .**دُخُولُهُمْ عَلَى لُوطٍ وَرَدُّ فِعْلِهِ** :وَصَلَ الْمَلَائِكَةُ إِلَى لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَيْئَةِ ضُيُوفٍ غُرَبَاءَ. وَكَانَ مِنْ عَادَةِ قَوْمِ لُوطٍ الْفَاحِشَةُ الشَّنِيعَةُ، وَهِيَ إِتْيَانُ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ. وَكَانُوا يَكْشِفُونَ الْغُرَبَاءَ وَيَفْعَلُونَ بِهِمْ فِعْلَتَهُمُ الْخَبِيثَةَ. فَلَمَّا رَآهُمْ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُمْ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ الْحَسَنَةِ، لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ، بَلْ ظَنَّ أَنَّهُمْ بَشَرٌ وَضُيُوفٌ.

٣ .**شُعُورُ لُوطٍ بِالضِّيقِ وَالْفَزَعِ** :هُنَا ظَهَرَ شُعُورُهُ الْعَمِيقُ بِالْهَمِّ وَالْحُزْنِ. فَالْقُرْآنُ يَقُولُ :﴿ **سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا** ﴾ .يُفَسِّرُ الطَّبَرِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ "سِيءَ بِهِمْ" أَيْ: حَزِنَ وَاغْتَمَّ بِمَجِيئِهِمْ. وَ"ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا" أَيْ: عَجَزَ عَنِ الِاحْتِيَالِ فِي دَفْعِ الْأَذَىٰ عَنْهُمْ، وَشَعَرَ بِضِيقٍ شَدِيدٍ فِي صَدْرِهِ وَحِيلَتِهِ أَمَامَ مَا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ قَوْمِهِ.

٤ .**قَوْلُهُ: "هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ"** :فِي شِدَّةِ الْكَرْبِ وَضِيقِ الْحَالِ الَّذِي شَعَرَ بِهِ، قَالَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ :﴿ **هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** ﴾ .وَفِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ، يَذْكُرُ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ "يَوْمٌ عَصِيبٌ" يَعْنِي يَوْمٌ شَدِيدٌ، عَسِيرٌ، كُلُّهُ شَرٌّ وَبَلَاءٌ. وَالْمَقْصُودُ بِهِ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي سَيُوَاجِهُهُ بِسَبَبِ هَؤُلَاءِ الضُّيُوفِ مِنَ الْأَذَىٰ وَالْفَاحِشَةِ مِنْ قِبَلِ قَوْمِهِ الْأَشْرَارِ. لَقَدْ أَدْرَكَ لُوطٌ مُبَكِّرًا الْخَطَرَ الْجَسِيمَ الَّذِي سَيَتَعَرَّضُ لَهُ ضُيُوفُهُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ لَا يُرَاقِبُونَ اللهَ.

٥ .**تَبْيِينُ الْمَلَائِكَةِ لِحَقِيقَتِهِمْ** :بَعْدَمَا رَأَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا حَلَّ بِلُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَمٍّ وَغَمٍّ وَخَوْفٍ عَلَيْهِمْ، كَشَفُوا عَنْ حَقِيقَتِهِمْ وَقَالُوا لَهُ مُطَمْئِنِينَ :﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ هود: ٧٩ .أَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بَشَرًا وَأَنَّ قَوْمَهُ لَنْ يَسْتَطِيعُوا إِيذَاءَهُمْ، وَأَنَّ سَبَبَ مَجِيئِهِمْ هُوَ الْقَضَاءُ عَلَى قَوْمِهِ الظَّالِمِينَ، وَأَمَرُوهُ بِالْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِهِمْ لَيْلًا مَعَ أَهْلِهِ إِلَّا

امْرَأَتَهُ. بَعْدَ أَنْ بَيَّنَتِ الْمَلَائِكَةُ حَقِيقَتَهَا لِلُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهَا جَاءَتْ لِإِهْلَاكِ قَوْمِهِ بِأَمْرِ اللهِ، تَمَّ تَعْذِيبُ قَوْمِ لُوطٍ وَإِهْلَاكُهُمْ بِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ، ثَابِتَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ قَامَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَنْفِيذِ هَذَا الْعَذَابِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ.

❁ وَالطُّرُقُ الثَّابِتَةُ لِتَعْذِيبِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ هِيَ كَمَا وَرَدَتْ فِي كِتَابِ اللهِ:

١ .**قَلْبُ الدِّيَارِ (رَفْعُهَا ثُمَّ قَلْبُهَا)** :جَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَالِيَ دِيَارِهِمْ سَافِلَهَا. وَهَٰذَا الْعَمَلُ الْعَظِيمُ نُسِبَ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ الَّذِي أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِتَنْفِيذِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ :﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ هود: ٨٢ وَقَالَ سُبْحَانَهُ :﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ النجم: ٥٣ – ٥٤ وَالْمُؤْتَفِكَةُ هِيَ قُرَىٰ قَوْمِ لُوطٍ الَّتِي انْقَلَبَتْ وَعُذِّبَتْ.

٢ .**الصَّيْحَةُ الْعَظِيمَةُ** :أَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ مُهْلِكَةٌ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ. وَالصَّيْحَةُ هِيَ صَوْتٌ شَدِيدٌ مُفْزِعٌ يَقْضِي عَلَى مَنْ يَسْمَعُهُ. قَالَ تَعَالَىٰ :﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ الحجر: ٧٣ – ٧٤ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ القمر: ٣١

٣ .**إِمْطَارُهُمْ بِالْحِجَارَةِ** :أَمْطَرَ اللهُ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (وَهُوَ طِينٌ تَحَجَّرَ وَاشْتَدَّ) مُنَضَّدٍ (أَيْ مُتَتَابِعٍ وَمُصْطَفٍّ). وَهَٰذَا الْعَذَابُ أَتَاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ بَعْدَ قَلْبِ الدِّيَارِ أَو مُصَاحِبًا لَهُ. قَالَ تَعَالَىٰ :﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هود: ٨٢ – ٨٣ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ :﴿ فَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ الشعراء: ١٧٣

❁ وَقَوْلُهُ: «وَرُسُلِهِ» جَمْعُ مُفْرَدِهِ «رَسُولٌ»، وَهُوَ الرَّجُلُ الذَّكَرُ الْإِنْسِيُّ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ، وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ إِلَى قَوْمٍ مُخَالِفِينَ. نُؤْمِنُ بِأَنَّهُمْ مُخْتَارُونَ، مُكَلَّفُونَ بِإِبْلَاغِ رِسَالَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا إِلَى أَقْوَامِهِمْ، صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ. نُؤْمِنُ بِهِمْ إِجْمَالًا، وَبِمَا سُمِّيَ لَنَا مِنْهُمْ تَفْصِيلًا.

وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ نَبِيًّا وَرَسُولًا مِنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَهُمْ: نُوحٌ، وَإِدْرِيسُ، وَهُودٌ، وَصَالِحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَلُوطٌ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ، وَيُوسُفُ، وَأَيُّوبُ، وَشُعَيْبٌ، وَمُوسَىٰ، وَهَارُونُ، وَذُو الْكِفْلِ، وَدَاوُودُ، وَسُلَيْمَانُ، وَإِلْيَاسُ، وَالْيَسَعُ، وَيُونُسُ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَىٰ، وعيسى، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَوَّلُهُمْ نُوحٌ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَمَنْ كَذَّبَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَذَّبَ بِالْجَمِيعِ .

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ *وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ *وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ *أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام: 83 – 90.

وَالسَّبْعَةُ البَاقُونَ هُمْ:

19ـ سَيِّدُنَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

20ـ سَيِّدُنَا إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

21ـ سَيِّدُنَا هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

22ـ سَيِّدُنَا صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

23ـ سَيِّدُنَا شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

24ـ سَيِّدُنَا ذُو الكِفْلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

25ـ وَخَاتَمُهُمْ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ نُظِمَتْ أَسْمَاؤُهُمْ بِقَوْلِ القَائِلِ:

حَتْمٌ عَلَى كُلِّ ذِي التَّكْلِيفِ مَعْرِفَةٌ * لِأَنْبِيَاءِ عَلَى التَّفْضِيلِ قَدْ عُلِمُوا**

فِي تِلْكَ حُجَّتُنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ * مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمُو**

إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا * ذُو الْكِفْلِ آدَمَ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا**

وَقَوْلُهُ: «وَكُتُبِهِ» جَمْعُ مُفْرَدِهِ «كِتَابٌ» بِمَعْنَى مَكْتُوبٍ، وَهِيَ الْكُتُبُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ عَلَى بَعْضِ الرُّسُلِ، كَالتَّوْرَاةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْإِنْجِيلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالزَّبُورِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

❁ وَنُؤْمِنُ بِجَمِيعِ كُتُبِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا الْمُنَزَّلَةِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ، وَبِمَا ذُكِرَ لَنَا عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ. وَأَنَّ فِي هٰذِهِ الْكُتُبِ الْحَقَّ وَالْهُدَىٰ، وَالْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْأَخْبَارَ، وَالْقَصَصَ، وَالْأَخْلَاقَ، وَالْآدَابَ. وَأَصْلُهَا تَوْحِيدُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَفِيهَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ بِإِفْرَادِهِ جَلَّ وَعَلَا بِالْعِبَادَةِ وَعَدَمِ الْإِشْرَاكِ بِهِ.

❁ وَقَوْلُهُ: «**وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ**». وَنُؤْمِنُ كَذٰلِكَ بِإِخْرَاجِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ إِحْيَائِهِمْ وَإِعَادَةِ أَرْوَاحِهِمْ إِلَى أَجْسَادِهِمْ، وَحَشْرِهِمْ وَمُحَاسَبَتِهِمْ. وَكُلُّ ذٰلِكَ يَأْتِي مُفَصَّلًا فِي أَبْوَابٍ قَادِمَةٍ بِإِذْنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، مِثْلَ النُّشُورِ، وَالْحِسَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالْحَوْضِ، وَالشَّفَاعَةِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ مِمَّا سَيُذْكَرُ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِنْهَا فَقَدْ كَفَرَ.

❁ وَقَوْلُهُ: «**وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». وَهٰذَا هُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ مُهِمٌّ جِدًّا، يَحْتَاجُ إِلَى تَأْصِيلٍ وَتَقْدِيرٍ وَتَقْدِيمٍ وَبَيَانٍ. يَأْتِي ذٰلِكَ فِي بَيَانِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي ثَنَايَا شَرْحِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ.

❁ وَقَوْلُهُ: «**وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ**». هٰذَا شُرُوعٌ فِي التَّفْصِيلِ بَعْدَ الْإِجْمَالِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ إِيمَانِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِأَصْلِ الْأُصُولِ كُلِّهَا، وَنُؤْمِنُ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا وَبِمَا وَصَفَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهِ نَفْسَهُ.

❁ وَمِنْ هُنَا تُفْهَمُ (مِنْ) التَّبْعِيضِيَّةُ. وَهٰذَا يُقَرِّرُ لَكَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ شَيْئًا وَاحِدًا، بَلْ هُوَ أَجْزَاءٌ وَبَعْضٌ، كَمَا يَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ (لَا كَمَا تَقُولُ الْمُرْجِئَةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَأَشْيَاعُهُمْ).

فَمَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا الثَّابِتَةِ مِنْ خِلَالِ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ الرعد: ٣٠كُفْرُهُمْ بِإِنْكَارِ اسْمِهِ «الرَّحْمَٰنُ». وَمَنْ عَطَّلَهَا عَنِ الْمَوْصُوفِ بِهَا وَهُوَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ. وَمَنْ شَبَّهَهَا بِصِفَاتِ خَلْقِهِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ كَذَٰلِكَ.

الموقع الرسمي للشيخ:
أَبِي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي
SUBSCRIBE
LIKE
SHARE